مقولة بحث الديب عما يرضي الحمل

بقلم ادمون الشدياق

لقد عودنا السيد عبد الحليم خدام منذ بداية السبعينات على نفث سمومه في شرايين لبناننا الحبيب كلما كانت الفرصة سانحة وآخر سموم الخدام كان ما نقل عنه على لسان أحد صبيانه " انه مع رئيس يرضي المسيحيين ." أن في حديث الخدام هذا نوعين من السموم : أولهما الإيهام بأن اللبنانيين بالنسبة إلى الوجود السوري أو أي شأن يتعلق بمصير لبنان ينقسمون إلى فئتين مسلمين ومسيحيين, وهذا كذب وخداع وقد ثبت ذلك من قوافل المنبطحين الزاحفين على دمشق يطلبون رضى واليهم , فهؤلاء هم من المسيحيين كما من المسلمين على حد سواء وكذلك الحال مع اللبنانيين اللذين يفضلون الموت على خيانة لبنان ويقطعون يدهم قبل أن تتنجس بمصافحة أي محتل فهؤلاء كذلك هم أيضاً من المسلمين كما من المسيحيين . وبذلك فان مقولة انقسام اللبنانيين حسب أديانهم أصبحت من أنواع السموم القديمة التي لم تعد تؤثر بالجسم اللبناني فنتمنى على الخدام بأن يخيط هذه الأيام بغير هذه المسلة .

ثانياً ان قوله هذا يوهم بأن ما يطلبه المسلمون هو غير ما يطلبه المسيحيون بالنسبة الى السيادة, وحرية انتخاب رئيس يختاره الشعب, وهنا السم هو من النوع الإيحائي, فحتى سوريا تشعر هذه الأيام بالدفق التحرري الذي يعم مختلف طبقات الشعب حتى بين اللذين كانوا من الموافقين على الوجود السوري من الناحية المبدئية بحجة اخوة سوريا للبنان, هذه المقولة التي تحطمت على صخرة الاستعمار السوري, ومنطق مص دم الاقتصاد اللبناني الى حد جاع فيه اللبناني, وجعل اللبناني مواطن من الدرجة الثانية في بلده, ناهيك عن الأساليب البوليسية المتبعة التي تريد من اللبناني ان يتمتع بهبة الحياة ويترك التفكير في شؤونه للمستعمر السوري , واللبناني طوال تاريخه كان يفكر عنه وعن باقي العرب, واخيراً اكبر جرائم المستعمر السوري الا وهي محاولة إفهام اللبناني بأن في البقاء على قيد الحياة كل فخر وعزة , واللبناني يتعشق الحرية ويتنفس الكرامة ويضحك من باذارات الموت منذ فجر التاريخ ومآثر صور وصيدا في وجه المستعمرين هو خير مثال.

ان منطق الخدام ومن ورائه سوريا وأن كان يثيرنا فأنه لا يدهشنا فللخدام أياد بيضاء على لبنان منذ أوائل السبعينات نتمنى آن تمكنّا الأيام من رد جميله مضاعفاً ان شاء الله, ولسوريا تاريخ حافل فيما يختص لبنان الذي لم تعترف به يوماً. وان ننسى, لا ننسى أحداث آب وكانون الأول ١٩٦٩,وأحداث أيار ١٩٧٣, وأخيراً تدخلها بالشؤون اللبنانية منذ ١٩٧٥ بالحيلة والخديعة حيناً , وبالراجمات والقذائف أحياناً. وان ننسى, لا ننسى ايضاً محاولة سوريا إفراغ لبنان من كل سياسي أو اي رجل وطني كان يقف في طريق طموحاتها , من كمال

جنبلاط الى سليم اللوذي الى المفتي حسن خالد الى بشير الجميل الـــخ... وأخـــيراً محاولـــة القضاء عليه اقتصادياً وديموغرافياً. لكن نحن, وتقديراً منا للنقلة النوعية التـــي تحلـــى بـــها خطاب الخدام مع اللبنانيين ولو عن طريق أحد صبيانه (فمن الخطاب براجمات الصواريـــخ الى وضع السم في الدسم فرق من السماء الى الأرض) سنأخذ الخدام على محمل الجـــد ولـــو لمرة واحدة ونبادل التلطف بآخر وسنقول للخدام ما يرضي من يســـــميهم هـــو بالمســـيحيين والمسلمين ونسميهم نحن باللبنانيين لعله يتعظ :

اولاً – ان ما يرضي اللبنانيون اكثر من اي أمر آخر هو خروج جميع الجيوش الأجنبية مـــن لبنان وعلى رأسها الجيش السوري المستعمر .

ثانياً – ان ما يرضي اللبنانيون هو ان تتوقف سوريا عن تنفيذ المخططات الإســـرائيلية فـــي لبنان , وان كانت دمشق مصرة على لعب هذا الدور فلتلعبه الى أبد الآبدين ولكن في ســـوريا وليس في لبنان, وعلى حساب سوريا وليس على حساب لبنان وشعبه.

ثالثا – ان ما يرضي اللبنانيون هو ان تعيد سوريا جميع رعاياها , اللذين قارب عددهم علـــى المليونين, الى سوريا بدل ان يبقوا في لبنان يزاحمون اللبناني علـــى رزقـــه ولقمـــة عيشـــه ويتصرفون كالجراد فيأكلون الأخضر واليابس, وهم من يعيشون في لبنان ويدفعون الضرائب في سوريا.

رابعا – ان ما يرضي اللبنانيون هو ان تطلق سوريا صراح جميع اللبنانيين المعتقليـــن فـــي سجونها اعتباطيا وتردهم الى أهاليهم بعد ان تقدم الى كل عائلة رسالة اعتـــذار خطيـــة مـــن الرئيس السوري .

خامسا – ان ما يرضي اللبنانيون هو ان يكف النظام السوري عنهم كلابه البوليســـية, او مـــا يسمى بوحدات الاستخبارات, فالحلم السوري بجعل لبنان دولة بوليسية لن يتحقق الا اذا قضى النظام السوري على جميع اللبنانيين, وهذا ما لم تقدر على تحقيقه اي قوة مستعمرة من قبل .

سادسا – ان ما يرضي اللبنانيون هو ان تدفع سوريا قيمة العجز في الخزينة اللبنانية لأن نظام الدمى التابع لها كان المسؤول عن تراكم هذا العجز , من خلال سوء الإدارة وتقديم المصلحـــة السورية على المصلحة الوطنية. وان تكف سوريا عن الحرب الاقتصادية المعلنة على لبنـــان حيث يتم إغراق السوق اللبنانية بالمنتجات والبضائع السورية وفي كثير من الأحيان بأقل من سعر الكلفة, الشيء الذي أدى الى ركود اقتصادي خطير لم يشهد له لبنان مثيل فـــي تاريخـــه القديم او الحديث. سابعا واخيرا ان ما يرضي اللبنانيون هو ان تكف ســـــوريا عـــن افتعـــال المشاكل لتتظاهر في النهاية بحلها , او بتقديم الحلول التي ترضي هذا الفريق او غيره . وانه مهما بلغ اللبنانيين من الغباء فلن يصدقوا مقولة " بحث الديب عما يرضي الحمل" والسلام .